✝ دير الشهيدة دميانة للراهبات
بالبراري

حَلَّ بَيْنَنَا

بقلم
الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانة

✝ دير الشهيدة دميانة للراهبات بالبرارى

حَلَّ بَيْنَنَا

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ و البرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

الكتاب: **حَلَّ بَيْنَنَا**

المؤلف: نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس

الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري

الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة

الغلاف: تصميم راهبات دير القديسة دميانة

الطبعة: الأولى يناير ٢٠١٦

المطبعة: بريماجرافيك-حلمية الزيتون ٢٧٧٨٧١٣١-٠٢

رقم الإيداع بدار الكتب:

يطلب من دير القديسة دميانة بالبراري، تليفونات رقم:

٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،
٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،
٤١١١١٣٥(٠١٨)، ٨٨٨١٣٣٩(٠١٨)، ٦٨٨٨٨٥٣(٠١٤)

فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.

بريد إلكتروني email: demiana@demiana.org
email: demiana٨@demiana.org

يطلب أيضًا من:

مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)

ومقر الدير بالإسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)

صاحب الغبطة والقداسة البابا

المعظم الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة

المرقسية الـ ١١٨

نيافة الحَبر الجليل الأنبا بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ و البرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

مقدمة

قال القديس يوحنا في بداية إنجيله: **"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقّاً"** (يو١: ١٤)... جاء السيد المسيح وأخذ صورة عبد **"إِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ"** (في٢: ٨). ربما لا يصدِّق البعض أن محبة الله تصل إلى درجة أن يبذل ابنه الوحيد الجنس لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (انظر يو٣: ١٦)... وربما يصعب على البعض أن يصدِّق أن **"اللَّه ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ"** (١تى٣: ١٦). ويصعب عليهم أكثر أن يصدقوا أنه من الممكن أن يحتمل الآلام عوضًا عن الخطاة، أو أن يموت نيابة عنهم بحسب الجسد.

قد يصعب عليهم أن يصدِّقوا أن الله الابن الكلمة شخصيًا سوف يتمم الخلاص والفداء ويحتمل كل شيء مهما كان صعبًا وثقيلًا من أجل خلاص البشرية.. لأنه كان ينبغي أن تنتصر البشرية على الشيطان، وليس عجيبًا أن المسيح باعتباره كلمة الله أن يهزم الشيطان فهذا لا يستغرق منه واحدًا على مليون من الثانية. ولكن

العجيب أن البشرية تهزم الشيطان عدوها القديم. لذلك ينبغي أن العلي نفسه هو الذي يأتي؛ يأتي ليهزم الشيطان بجسم بشريتنا الخاص به لذلك يقول الكتاب: **"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا"** (يو ١: ١٤).

لقد جاء السيد المسيح ليعطي لطبيعتنا البشرية نصرة على الشيطان، وأخذ هذه الطبيعة الخاصة به الخالية من الخطية؛ فهو وحده الذي بلا خطية. اللَّه قدوس وكله نور وليس فيه ظلمة البتة، وهكذا أيضًا جاء السيد المسيح كلمة اللَّه المتجسد. **"كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ"** (يو ١: ٩-١٠). ويقول أيضًا **"فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ"** (يو ١: ٤-٥).

فقد جاء السيد المسيح لكي يشفي الجراح، ويقيم البشرية من سقطتها. ويعيد آدم إلى الفردوس مرة أخرى. ولكن ذلك لِمَن يقبل محبته، ويقبل خلاصه. كما هو مكتوب **"وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ**

فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّه أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو ١: ١٢).

فلنفرح يا أحبائي ونحن نستقبل عيد الميلاد المجيد ونهيئ قلوبنا بالفرح والتهليل ونتأمل في الملائكة الذين فرحوا مع البشرية ونرفع قلوبنا إلى كل ما هو سمائي في هذا العيد.

نسأل الرب أن يجعل من هذا الكتاب سبب منفعة لكثيرين بصلوات **صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني** أطال الرب حياته وأدام رعايته.

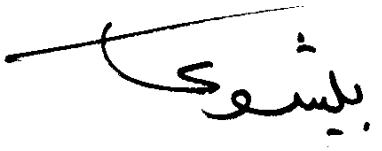

عيد الميلاد المجيد **مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري**

٧ يناير ٢٠١٦م **ورئيس دير القديسة دميانة**

وعد الله بالخلاص

لقد وعد الله بالخلاص للبشرية بعد سقوط آدم. ولكنه انتظر آلاف السنين حتى تمَّم وعده بالخلاص. وكان لابد أن يُهيئ الله البشرية لعملية الخلاص والفداء؛ لأنه لم يكُن من السهل أن تصدِّق البشرية أن الله يرسل ابنه مولودًا من امرأة! إن الله قد سبق أن قال لموسى النبي عندما ظهر له في نار مشتعلة في عليقة في البرية "إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم" (انظر خر٣: ٧، ٨)... عندما أبصر موسى هذا المشهد العظيم الذى يرمز إلى التجسد الإلهي، وأراد الرب أن يرسله لخلاص شعبه. قال موسى لله: "ها أنا آتى إلى بني إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: **أَهْيَه الَّذِي أَهْيَهْ** אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل **أهيه** أرسلني إليكم. وقال الله أيضًا لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: **يهوه** إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور" (انظر خر٣: ١٣-١٥). لذلك فإنه حينما تجسد كان اسمه يسوع أي **يهوشوع** أي "يهوه خلَّص".

ما أجمل قول زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان: "**بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ**" (لو ١: ٧٨).. إن أحشاء رحمة الرب تعني رحمته العميقة الناشئة عن محبته الجياشة والفياضة التي تتحرك نحونا باستمرار.

وبالإجماع عظيم هو سر التقوى اللَّه ظهر في الجسد" (انظر ١تى٣: ١٦).

انتظار طويل من البشرية

يقول المزمور: "**صهيونُ الأُمُّ تقولُ إنَّ إنسانًا، وإنسانٌ صارَ فيها، وهو العلىُّ الذي أسَّسها إلى الأبدِ**" (مز ٨٦: ٥).

أخيرًا. وبعد انتظار طويل من البشرية. أتى السيد المسيح لكي يُخلِّص شعبه من خطاياهم. وكانت كل أُم ترجو أن تلد بنينًا، لأن في هذا أمل البشرية في الحياة، وأمل البشرية في الخلاص. لأن الرب وعد أنه من نسل المرأة سيأتي المخلِّص، وانتظرت البشرية الآلاف من السنين.

عندما وَلدتْ يوكابد موسى النبي أخفته ثلاثة أشهر ولَمْ تَخَف من أمر الملك. ثم وضَعَته في الماء ورأت الصبي جميلاً جدًا. وكانت ترى بروح الإيمان والرجاء أن هذا هو الذي يُخلِّص إسرائيل وبالفعل صار موسى نبيًا عظيمًا. وانتشلته ابنة فرعون من الماء، وتحكَّم بكل حكمة المصريين. ثم خرج إلى البرية وعاش فيها أربعين سنة وناداه الله من وسط العليقة المشتعلة بالنار فقال له: **"هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ"** (خر٣: ١٠)... إذا كان الله سمع صراخ شعبه في العهد القديم عندما كان فرعون يذلّهم في أرض مصر، فكم وكم يكون الأمر حينما يرى فرعون العقلي (إبليس) وهو يذل البشرية ويطحنها في مذلّة. كانت البشرية تئن وتعاني في احتياج شديد لمجيء المخلِّص، وبكل تأكيد كان الله يشعر بآلام البشرية، فقال **"مِنْ أَجْلِ شَقَاء المسَاكينَ وتَنَهُّد البائِسينَ الآنَ أقومُ. يَقولُ الرَّبُ أَصْنعُ الخَلاصَ عَلانيةً"** (مز ١١: ٥).

خلاص وقتي

ولكن كان خلاص موسى للشعب خلاصًا وقتيًا. خلاص موسى هنا خلاص من العبودية لفرعون والعبودية على الأرض أيضًا. ولكن لم يستطع موسى أن يُخَلِّص الشعب مِن الهلاك الأبدي ومِن عبودية الموت ومِن الشيطان. وهكذا ظلّت البشرية تنتظر أجيالاً وأجيالاً متى يأتي ذاك الذي يستطيع أن يدوس الموت ويحطِّم سلطانه، مَن يستطيع أن يحطِّم متَاريس الجحيم وأن يحطِّم أبوابه، مَن يستطيع أن يسحق الشيطان بصورة نهائية ويفتح الطريق إلى المجد، إلى أحضان الآب السماوي، بعد أن يعيد الإنسان إلى الفردوس مرة أخرى.. فيقول المزمور: **"صهيونُ الأُمُّ تقولُ إنَّ إنسانًا، وإنسانٌ صارَ فيها"** (مز ٨٦: ٥).

هذه الأُم صهيون التي هي البشرية، والتي هي كل أُم انتظرت مجيء المخلِّص... كلما أتى إنسان إلى العالم تتطلع البشرية وتأمل أن يكون هذا هو مخلِّص العالم. ورأت كثيرًا من رجال الله الأنبياء القديسين الذين صنعوا خلاصًا. ولكنه كان خلاصًا وقتيًا ولم يستطيعوا إطلاقًا أن يحرروا البشرية من عبودية الشيطان. ولكن مَن هو الذي يستطيع أن يأتي ويخلِّص شعبه؟! لذلك عندما

بشر الملاك الرعاة قال لهم: **"فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ"** (لو ٢: ١٠-١١).

وعندما بشر الملاك القديس يوسف النجار بميلاد السيد المسيح قال: **"فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"** (مت ١: ٢١)

لا أحد يستطيع أن يخلِّص الأُم صهيون وبنيها إلاَّ العلي الذي أسسها، كما قال المزمور. الذي يجعل أساساتها حجارة بهرمانية وعقيق وزبرجد، والذي يزينها بالمجد. هو العلي الذي خَلقها، والذي أعطاها نعمة الوجود والحياة. وهو الذي يستطيع أن يخلقها مِن جديد، وأن يزيّنها كعروس مهيأة لعريسها لأنه **"إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ"** (٢كو ٥: ١٧).

فالسيد المسيح الذي أسسها إلى الأبد هو وحده الذي يستطيع أن يضع أساسات المدينة العظيمة أورشليم السمائية. وهو الذي يستطيع أن يهيئ مسكنًا له مع شعبه إلى الأبد. نجد في سفر الرؤيا وصفًا جميلاً جدًا عن أورشليم هذه؛ وأن الرب هو الذي صنعها وأسسها. يقول يوحنا الرسول في سفر الرؤيا: "ثمَّ رَأَيْتُ

سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّه مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا... وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّه، لَهَا مَجْدُ اللَّه، وَلَمَعَانُهَا شِبْهُ أَكْرَمِ حَجَرٍ كَحَجَرِ يَشْبٍ بَلُّورِيٍّ... وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا، لأَنَّ الرَّبَّ اللَّه الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هُوَ وَالْحَمَلُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلى الشَّمْسِ وَلاَ إِلى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللَّه قَدْ أَنَارَهَا، وَالْحَمَلُ سِرَاجُهَا. وَتَمْشِي شُعُوبُ الْمُخَلَّصِينَ بِنُورِهَا، وَمُلُوكُ الأَرْضِ يَجِيئُونَ بِمَجْدِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ إِلَيْهَا" (رؤ ٢١: ١، ٢ و٩-١١ و٢٢-٢٤)..

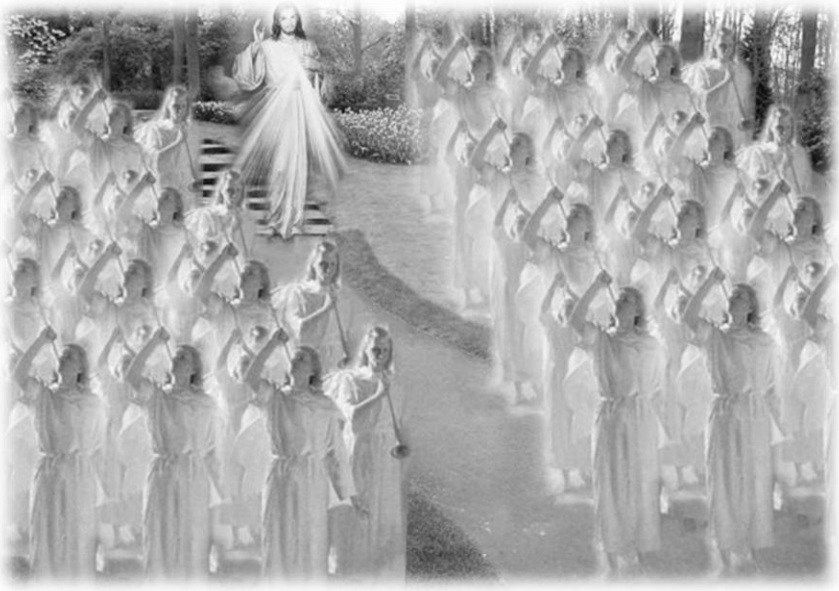

لذلك يقول معلِّمنا بولس الرسول: **"لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللَّه، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ"** (٢كو٥: ١).

وقال عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب **"وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ"** (عب١١: ١٣)، **"لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللَّه.. يَبْتَغُونَ وَطَناً أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيّاً. لِذَلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمِ اللَّه أَنْ يُدْعَى إِلَهَهُمْ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً "** (عب١١: ١٠، ١٦).

فهؤلاء إذ طلبوا المسكن الأفضل وصاروا كغرباء هنا على الأرض تطلّعوا لما هو أسمى بكثير مِن هذه الحياة الجسدية الزائلة. وفهموا أن الإنسان قد خُلق ليحيا في مجد، في كرامة، في سمو، في نور، وليس في حياة جسدانية منحطة إلى أسفل بل في حياة تليق بمن هم على صورة اللَّه ومَن هم شركاء المجد العتيد أن يُستعلن.

"صهيونُ الأُمُّ تقولُ إنَّ إنسانًا، وإنسانٌ صارَ فيها، وهو العلىُّ الذى أسَّسها إلى الأبدِ" (مز٨٦: ٥).

إنسانٌ صارَ فيها

ربما البعض يتصور أن السيد المسيح عندما جاء كان نبيًا مثل سائر الأنبياء. بل أن اليهود أنفسهم عندما رأوا معجزات السيد المسيح قالوا: **"قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللَّه شَعْبَهُ"** (لو ٧: ١٦) ولكن يقول المزمور لا مخلِّص إلاَّ العلي.. **"العليُّ الذى أسَّسها إلى الأبدِ"** (مز ٨٦: ٥)..

يقصد أن الذي جاء لكي يخلِّص صهيون من خطاياها ليس هو إنسانًا عاديًا ولكن هو الكلمة الأزلي المتجسد. لذلك لم يقل أنه ليس إنسان بل قال: "**إنسانٌ** صارَ فيها، وهو **العلىُّ** الذى أسَّسها إلى الأبدِ" (مز ٨٦: ٥)..

الذي دعي فيها ابن الإنسان هو نفسه العلي

الذي أسسها إلى الأبد، أسسها حينما خلقها وأسسها حينما أعاد خلقتها من جديد وزينها وهيئها لكي تكون مسكنًا لله.

إن السيد المسيح عندما يتكلم من حيث إنه قد تنبأ فلابد أن نتذكر أنه ليس مجرد نبي، ولكنه الله الكلمة المتجسد، وهو ابن الله الوحيد الجنس. لكن من الطبيعي إذ ظهر في الهيئة كإنسان أن يقول بعض الأمور التي تنبأ بها. وحينما تتحقق نتأكد أنه كان

يتكلم كلام الله. وليس مجرد كلامًا عاديًا مثل أي إنسان عادي. فقد كانت نبوته عن موته على الصليب وقيامته من الأموات في اليوم الثالث شيئًا هامًا جدًا بالنسبة للكنيسة. لهذا حينما ظهر السيد المسيح بعد القيامة قال لتلاميذه "أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (انظر لو٢٤: ٢٦).

وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ

جاء السيد المسيح وأخذ صورة عبد **"وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ"** (في٢: ٨). لأنه كان ينبغي أن تنتصر البشرية على الشيطان.

عندما أذلَّ الشيطان البشرية واستعبدها اعتبر أن هذا الانتصار ضد الله نفسه.

فالحرب هي للرب والانتصار للرب من خلال جسم بشريتنا الخاص به. من أجل هذا كان ينبغي أن يظهر اللَّه الكلمة في الجسد، وينتصر من خلال طبيعتنا. وكان ينبغي أن يأتي اللَّه بنفسه لكي يهزم الشيطان لحسابنا ومن خلال طبيعتنا.

فقد كانت البشرية كلها مهزومة أمام الشيطان. فجاء السيد المسيح وقال أنا سوف أنتصر عليه لكن سأنتصر لحسابكم، أي كنائب

عن البشرية، وباعتباره هو آدم الجديد ورأس البشرية المفتداه. لأن الذين آمنوا به أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله.

اللَّه في محبته لم يرسل لنا مساعدة أو معونة، إنما جاء بنفسه إلينا واتخذ طبيعة بشرية بلا خطية في تجسده.

لذلك في حياتنا مع اللَّه نحن نعمل بقوته؛ ولكن ينبغي أن يعمل هو بنا وفينا لكي نغلب الشيطان وننتصر عليه.

لهذا أخذ السيد المسيح جسدًا وصار مثل سائر البشر ما عدا الخطية. لأنه لا يمكن أن يحدث اتحاد حقيقي، طبيعي وأقنومي بين اللاهوت والناسوت في السيد المسيح إلاَّ إذا كان الناسوت خاليًا تمامًا من كل ما يتعارض مع قداسة اللاهوت وصلاحه. إذ كيف يجتمع النور مع الظلمة؟!

الشيء الذي لا يستطيع اللَّه أن يفعله هو الخطية؛ وليس ضعفًا من اللَّه لأن باستطاعته أن يفعل كل شيء. ربما أحد يظن أن اللَّه بعدم قدرته لفعل الخطية لا يقدر على شيء آخر. بالطبع لا؛ اللَّه لم يقدر أن يفعل الخطية لأنها من أعمال الضعف وليست عملاً من أعمال القدرة. لذلك نقول أن الله قادر أن لا يخطئ ولا نقول أنه غير قادر أن يخطئ. فلو كانت الخطية عملاً من أعمال

القدرة نستطع أن نقول إن الله غير قادر على كل شيء. لكنها هي نوع من عدم القدرة أي ما هو ضد القدرة. لذلك هو قادر على كل شيء فمِن المستحيل أن يكون الله غير قادر، والخطية هي عدم القدرة على الثبات في حياة البر والقداسة والصلاح؛ فهي سقوط من القدرة وليست صعودًا إليها، ولذلك لا يمكن أن الله يخطئ. فإذا كان الله بلا خطية ولا يمكن أن يخطئ فالشيء الوحيد في التجسد الإلهي الذي نستبعده تمامًا عن الله هو أن يكون في حياته شيء من الخطية ولذلك وقف السيد المسيح يقول لليهود: "**مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟**" (يو٨: ٤٦).

ظهر الله لموسى في نار في العليقة.. وكلمه قائلاً "أنا إله إبراهيم" وقد رآه في نار مشتعلة في أغصان الشجرة. إذًا الله من الممكن أن يظهر. فأيهما أفيد وأفضل؟! أن يظهر على هيئة نار؟ أم أن يظهر كفادٍ ومخلص، لكي يُظهر لنا محبته على الصليب؟!! إن العليقة المشتعلة بالنار في برية سيناء كانت تشير إلى التجسد في بطن العذراء مريم حيث لم يحترق الناسوت لسبب اتحاده باللاهوت، وتشير إلى الصليب، لأنه على الصليب اشتعلت نار العدل الإلهي.

والشجرة التي ترمز إليها العليقة هي خشبة الصليب. لذلك يُذكِرنا مشهد الصليب بالمشهد الذي رآه موسى على الجبل.

أيهما أعظم النار أم الإنسان؟! السيد المسيح إذ كان بالرمز قد أشار إلى حلول اللاهوت في أحشاء العذراء ليتحد بالناسوت الذي لم يحترق وهي أيضًا كحاملة للناسوت المتحد باللاهوت لم تحترق عندما تجسد الكلمة الأزلي في أحشائها.

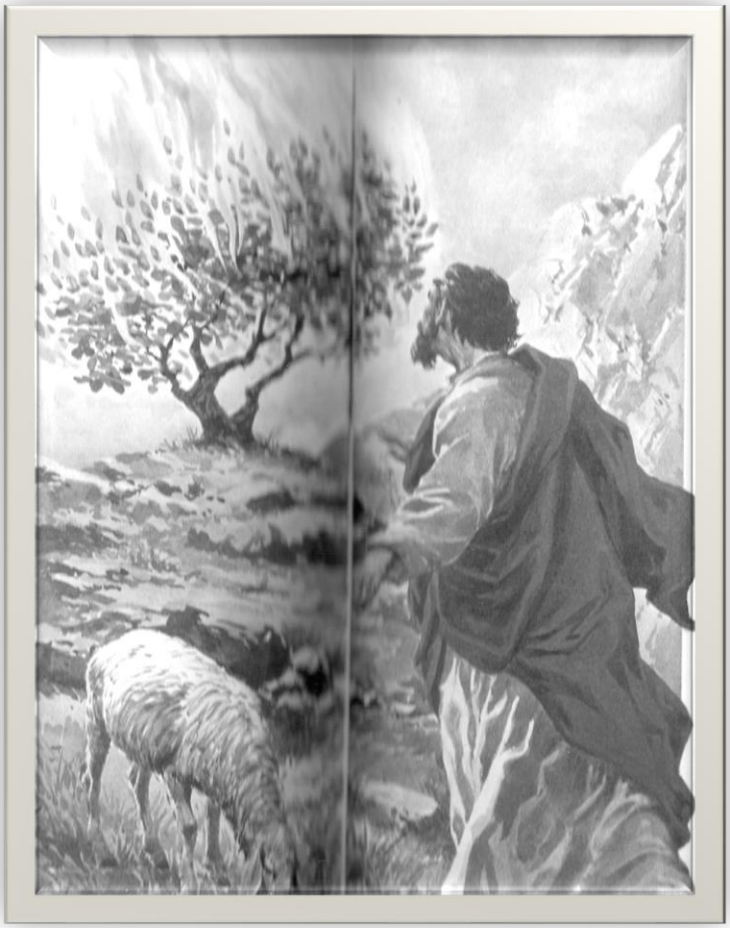

وبالرمز بيَّن لموسى النبي هذا الأمر وكان متعجبًا جدًا. وقال: كيف أن النار مشتعلة في الشجرة وهي لم تحترق.

ولكن ها نحن أمام مشهد أعظم من النار التي اشتعلت في العليقة. هذا المشهد حينما رأينا ابن اللَّه الوحيد آتيًا في الجسد مملوءًا مجدًا "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو١: ١٤)

"وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ" (يو١: ١٦).

ما قيمة النار في العليقة بالنسبة للإنسان، في مقابل تجسد السيد المسيح الذي جاء لكي يُظهر حب اللَّه؛ ليحرر الخطاة من الشر ويخلصهم من الهلاك. هذا الذي في أيام تجسده كان يقيم الميت بكلمة مِن فمه المبارك. إذًا ماذا نعمل بالنار؟ أيهما أعظم النار في العليقة أم الابن المتجسد؟!

قبول فكرة التجسد الإلهي تتطلب من الإنسان أن يرى اللَّه بمنظار الأبوة، أي يشعر أن اللَّه كأب يسعى لخيره، إذا كان خير الإنسان يقتضي التجسد فمِن الأفضل أن يأتي كلمة اللَّه متجسدًا من أن يظهر كنار في أغصان شجرة، لأن في هذا خير للإنسان وحياة وخلاص ونجاة.

لكن لو كانت المسألة عملية استعراض للقوة؛ لكانت النار التي في أغصان الشجرة أعظم من التجسد. ولكن إذا كانت المسألة أبوة وحب ورغبة في رعاية وخلاص البشر **يكون التجسد الإلهي أعظم من النار المتقدة في العليقة.**

النور الحقيقي

إن الآب قد أعلن سروره بابنه الحبيب الذي استمر منذ الأزل ويستمر إلى الأبد عبورًا بمرحلة التجسد وإتمام الفداء. جاء السيد المسيح كلمة الله المتجسد.. **"كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ"** (يو ١: ٩-١٠). ويقول أيضًا **"فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ"** (يو ١: ٤-٥).

هذا النور الذي كان في السيد المسيح كان نورًا حقيقيًا وليس نورًا زائفًا. وأعماله شهدت لهذا النور. أعماله كقدوس بلا خطية، بلا شر، بلا عيب، ومحبته الغير محدودة التي ظهرت في كل شيء حتى عندما سلَّم نفسه لكي يموت بالجسد من أجل خلاص الآخرين.

فتعاليم السيد المسيح تشهد لقداسته الكاملة عندما يقول: **"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ "** (مت٥: ٢٧، ٢٨)

اللَّه يريد منا نقاوة من داخل القلب... يريد طهارة كاملة في الداخل والخارج. ولا يريد أن يكون الإنسان مملوءًا شرًا من الداخل وله تصرفات في الخارج مثل القديسين. لكن كان يطلب حياة القداسة الكاملة في الداخل والخارج وكان يطلب الكمال ويقول: "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت ٥: ٤٨)

وفى طلبه للكمال طلب محبة الأعداء وقال: **"أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ"**. (مت٥: ٤٤)، وقال أيضًا **"طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّه يُدْعَوْنَ"** (مت ٥: ٩)

لقد جاء ليرد للإنسان كرامته الحقيقية كابن للَّه؛ بأن ينهى الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، ينزع الكراهية، ينزع البغضة، ينزع التناحر، ينزع الحسد، ينزع الظلمة من حياة الإنسان الداخلية ويحول البشر بتعاليمه إلى ملائكة يحيون على

الأرض. وقال في تعاليمه: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" (مت ٥: ٣٩).

وقال أيضًا: "وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ" (مت٥: ٤٠، ٤١)

تعاليم السيد المسيح تشهد أنه هو القدوس الذي استطاع أن يرتقي بالبشرية إلى قمم الجبال العالية. لكى تلتقي مع اللَّه باعتبار أن البشرية في هذا هي قربان مقدس لله، وهي عروس تليق بالعريس السماوي وليس مجرد بشر يحيون لإشباع رغباتهم على الأرض.

كان السيد المسيح قلبًا مفتوحًا للكل، يجول يصنع خيرًا. أرانا صورة الإله المحب... كل شخص يجد له نصيبًا فيه، مهما كانت نوعيته إنه للكل، قلبًا محبًا محبوبًا، يصنع الخير مع كل أحد، ويفيض حبًا وحنانًا وتعليمًا على كل من يقابله.

قداسة البابا شنودة الثالث

فأخذ طبيعتنا كما نصلي في القداس الإغريغوري: [باركت طبيعتي فيك وأكملت ناموسك عنى وأريتني القيامة من سقطتي].. باركت طبيعتي فيك بمعنى أن الطبيعة التي لي كانت متهورة وساقطة، والشيطان كان قد أَذَلَّهَا وطرح بها أرضًا. لكن في شخصك أنت يا رب أصبح لها كرامة... في شخصك أنت أصبح لها طبيعة، تفرح الملائكة بها وتهلل من حَوَلها. لقد رَفَعْتَ مكانة البشرية في وسط طغمات الملائكة، وأَكملتَ ناموسك عني. فمَن يقدر أن يكمل الناموس؟!

الناموس الإلهي صالح.. الوصية مقدسة وصالحة (الوصايا العشر وغيرها). لكن مَن هو الإنسان الذي استطاع أن يكون بلا خطية. والكتاب يقول أنَّ: **"أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ وَأَمَّا هِبَةُ اللَّه فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا"** (رو٦: ٢٣)..

إذًا من الذي استطاع؟! **"الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ"** (رو٣: ١٢).

ليس إنسان بلا خطية ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض فعندما نقول للسيد المسيح: [أكملت ناموسك عني]. أي أنت وحدك يا كلمة الله، ولأول مرة... فمَن هو –ذو طبيعة بشرية–

استطاع أن يقف أمام الآب السماوي لكي يسمع نيابة عن البشرية كلها: **"هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ"** (مت٣: ١٧). وأيضًا قوله حسب النبوة: **"هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ"** (مت١٢: ١٨).

هذا كان سر المصالحة بين الله الآب وبين الإنسان. ولأول مرة يرضى قلب الله عن الإنسان. طوال تاريخ البشرية كلها عداوة وخصام. ولولا أن الله بسابق علمه رأى مجيء البار القدوس (السيد المسيح) في ملء الزمان؛ لمَا بقيت البشرية لحظة واحدة، لكان قد أبادها؛ وهذا ما تستحقه تلك البشرية الخاطئة. لذلك قبل أيام الطوفان عندما وجد الله أن الشر قد انتشر على الأرض وسادت الخطية يقول الكتاب: **"فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ"** (تك٦: ٦)، وقال: **"لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ"** (تك٦: ٧).

هل من المعقول أن الله يندم أو يحزن أنه خلق البشر؟! ولكن في الحقيقة هو تعبير يوضِّح لماذا بدأ الله أن يمحو البشرية بالطوفان، لكن بقيّة الآية تذكر: **"وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي**

عَيْنَيِ الرَّبِّ كَانَ نُوحٌ رَجُلا بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللَّه" (تك٦: ٨، ٩) وقال له اللَّه: **"اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ"** (تك٦: ١٤)، **"بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ الإِيمَانِ"** (عب١١: ٧).

وهنا الصورة رمزية. بمعنى أن بر نوح كان برًا نسبيًا بالنسبة لبشاعة الخطية التي انتشرت في هذا الوقت. فنوح أيضًا واقع تحت سلطان اللعنة وقصاص الموت لأنه **"لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ"** (رو٣: ١٢).

نوح هنا يرمز إلى نوح الحقيقي الذي هو السيد المسيح إلهنا الذي سيأتي من نسله حسب الجسد والذي تجسد من أجل خلاص العالم، وصار هو الْفُلْك الذي به نجت البشرية من طوفان الهلاك. فاللَّه عندما رأى البشر يمارسون الخطية بكثرة قال: **"أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا**

هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ" (تك٦: ٥).

لكن في نفس الوقت قال الله لأجل نوح أنا استبقيت الحياة على الأرض ولأجل نوح سأجدد الحياة على الأرض مرة أخرى **"وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ"** (تك٦: ٨).

فُلْك نوح كان رمزًا للسيد المسيح كما أن الخلاص تم بواسطة الفُلْك عندما دبر الله الطوفان ولم ينجُ منه غير نوح وامرأته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم؛ أي ثماني أنفس فقط هم الذين خلصوا..

ففُلْك نوح كان رمزًا للسيد المسيح.. ونوح الحقيقي هو السيد المسيح؛ الذي صار به تجديد الحياة على الأرض مرة أخرى. صنع فُلكًا هو الكنيسة المقدسة، وأرسل إليها الروح القدس كما جاءت الحمامة التي ترمز إلى الروح القدس لكي تبشر نوح بعودة الحياة.

أمّا نوح فكان جد السيد المسيح. إذًا نوح الحقيقي هو الذي كان موجودًا في صلب نوح حسب الجسد الذي هو يسوع الناصري الذي وُلِد من السيدة العذراء مريم في ملء الزمان.

وماذا لو أنهىَ الله البشرية منذ سقوط آدام وحواء عندما أكلا من شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. التي قال لهما عنها الله "فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (انظر تك٢: ١٧)!

وقد مات آدم ولكن كان وعد بقوله للحية على مسمع من آدم وحواء: "**أَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ**" (تك٣: ١٥).

وقد كان في قصد الله ألاَّ يموت آدم وحواء إلاَّ بعد أن يأتي منهما نسلاً، إذًا وإن كان آدم قد مات لكن فيه بقية للحياة مثلما يقول: "**لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ**" (إش١: ٩).

ويقصد أن هناك فتيلة مازالت مشتعلة، شمعة تُطفأ وشمعة أخرى تنير... لأنه سوف يأتي نور العالم كله الذي هو السيد المسيح. ولولا مجيء السيد المسيح لكانت قصة الخليقة قد انتهت منذ أول دقيقة بعد السقوط؛ منذ بدايتها. لكن الله نظر إلى البشرية ورآها وهي تغتسل بدم المخلِّص، ونظر البشرية ورآها وهي عروس مهيأة لعريسها في صورة الكنيسة المفدية التي قبلت السيد المسيح وآمنت به كمخلِّص. لذلك عندما يقول المزمور: "**صهيونُ الأُمُّ**

تقولُ إنَّ إنسانًا، وإنسانٌ صارَ فيها، وهو العلىُّ الذى أسَّسها إلى الأبدِ" (مز٨٦: ٥)، وانتظرت صهيون الأم مجيء ذاك الموعود به حتى جاء إلى هيكله وصنع خلاصًا عظيمًا أبديًا وأسسها إلى الأبد. وصار رأسًا للبشرية المفتداه.

فالسيد المسيح بالنسبة للبشر هو اللَّه الذي حل في وسطهم.

وبالنسبة للآب السماوي هو الإنسان الذي قدَّم طاعة كاملة أرضَى بها قلبه.

فالسيد المسيح هو تقدِّمة البشرية إلى اللَّه، وهو في نفس الوقت عطية اللَّه للبشرية بإرساله ابنه الوحيد إلى العالم.

وكما اختطف آدم قضية الموت لنفسه ولجميع نسله، فإن السيد المسيح اختطف الحياة لآدم ولجميع أولاده المؤمنين.

تحقيق الوعد

لم يستطع الإنسان أن يرتفع ليصل إلى اللَّه، فتنازل اللَّه الكلمة بأن أخلى نفسه واتخذ طبيعة بشرية كاملة بلا خطية. وكما اشترك معنا في طبيعتنا البشرية أعطانا أن نشترك معه في أمجاده... الابن الكلمة قد أخفىَ مجده الإلهي الذي لا يستطيع الإنسان أن يراه ويعيش، أخفاه في الجسد البشرى حينما تجسّد. فقد كان هناك

حاجزًا بين السماء والأرض يفصل بين الإنسان والله، وقد بدأ الآب يشق هذا الحاجز حينما أرسل ابنه الوحيد إلى العالم.

تجسد اللَّه الكلمة في ملء الزمان وخلَّصنا بصليبه المحيي وأعطانا الحياة.

يعلن سره لخائفيه

وكما تكلم الأنبياء فإن الرب يعلن سره لخائفيه المنتظرين خلاصه. السيدة العذراء عندما بُشرت بالحَبَل بالسيد المسيح قالت: **"كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ"** (لو ١: ٥٥)

وأيضًا زكريا والد يوحنا المعمدان تنبأ قائلاً: **"مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ.**

كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ. خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ. الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا

نَعْبُدُهُ. بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا" (لو ١: ٦٨-٧٤). كان زكريا يتكلم عن تجسد الله الكلمة في بطن العذراء القديسة مريم الذي بدأ قبل كلامه هذا بنحو ثلاثة أشهر، ولم يكن السيد المسيح قد وُلِد بعد من العذراء. ولكن الروح القدس نطق على لسانه بكلمات هذه النبوة.

والعجيب أنه قال إن الرب الإله قد افتقد وصنع فداءً لشعبه كما لو كان الخلاص قد تم. ولكن كثير من النبوات ذُكرت بصيغة الماضي قبل حدوثها بآلاف أو مئات السنين.

رعاة بيت لحم

من المعروف أن بيت لحم كانت مرعى للغنم من أيام داود النبي وكان هؤلاء الرعاة يرعون الغنم التي تُقدَّم ذبائح في الهيكل ويسهرون على حراستها. لم يكونوا رعاة عاديين لكنهم كانوا رعاة متخصصين لرعاية غنم الهيكل؛ وقد اختارهم الله مندوبين عن البشرية كلها لكي يسمعوا وينظروا أجمل بشارة. كانوا ساهرين يتحدثون عن نبوات الأنبياء وعن الذبائح التي تُقدَّم لمغفرة خطايا الشعب -مع أن آلاف الذبائح لم تكن كافية لتخليص البشرية من سلطان الخطية والموت- وعن مجيء المخلِّص وخاصة آخر نبوة

التي قالها زكريا الكاهن "**مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ**" (لو ١: ٦٨-٧٠)

وتسَاءل الرعاة فيما بينهم ما معنى كلمة أقام لنا قرن خلاص؟؟ هل يعني هذا أن المسيح قد جاء وأن ملك إسرائيل قد وُلد؟ ولكن أين هو؟... إن لنا ثلاثة أشهر منذ أن سمعنا هذا الكلام مِن فم زكريا أبو يوحنا.. لم نسمع شيئًا عن مَلك إسرائيل... أين هو بيت داود فتاه؟... أين مملكة وعرش داود؟... كانت لهم مشاعر داود في رعاية الغنم وتذكروا داود والمزمار والقيثار والعشرة أوتار. كانت مشاعرهم تترقب بشوق ميلاد السيد المسيح.

الرعاة شعروا أن كل ما سبق فأنبأ به الأنبياء بدأ يتحقق هذه الأيام ولكن كيف؟.. وأين؟

وجاءت السيدة العذراء مع القديس يوسف وذهبت إلى بيت لحم في وسط زحام الاكتتاب ولم يدري بها أحد، ووُلِد السيد المسيح في حظيرة الغنم "**إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ**" (لو ٢: ٧).

الحمل بين الحملان

لقد وُلِد السيد المسيح في وسط الأغنام لأنه هو حمل الله، وكما قال يوحنا المعمدان: **"هُوَذَا حَمَلُ اللَّه الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ"** (يو ١: ٢٩). فكان من الطبيعي أن الحمل الذي سيحمل خطية العالم، والذي سيُذبح من أجل خلاصنا؛ أن يولد في وسط الأغنام. وبالأخص في مدينة بيت لحم حيث المراعي الكثيرة.

وُلِد الحمل بين الحملان ووُلِد الراعي بين الخراف. وحينما بَشّرت الملائكة البشرية في ليلة ميلاده، بشّرت الرعاة الذين يسهرون على رعاية الذبائح التي تُقدم في هيكل الرب. لكي يأتي الرعاة لينظروا الراعي الحقيقي، راعي الرعاة، مخلِّص العالم. وفي وسط جو الحملان والذبائح والخراف بدأت الإعلانات السماوية لهؤلاء الرعاة وكأن الله يريد أن يقول إن رعاة إسرائيل بددوا غنم رعيتهم، فجاء لرعاة الأغنام البسطاء الذين انتظروا فداءً في أورشليم،

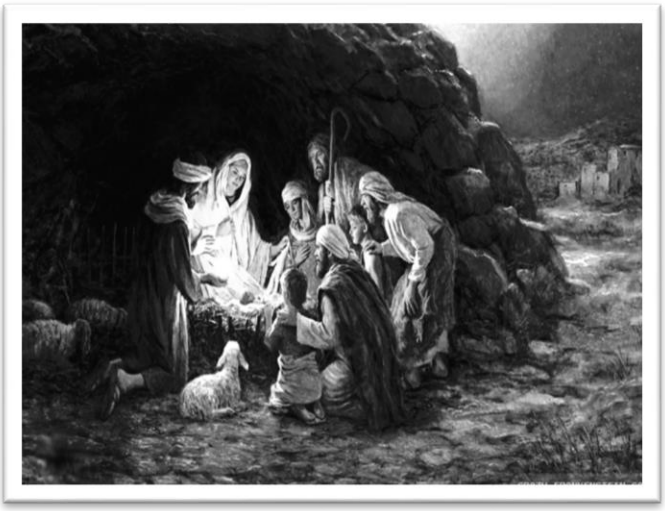

وهكذا يستبدل الله جهاز معين يقوم بعمل الرعاية بآخر.... يقول سوف أتعامل مع كيان جديد... هيئة جديدة.... أتعامل مع القلوب المفتوحة التي تبحث عن الخلاص وتبحث عن الحق.

كان الأمر بالنسبة لهم في منتهى العجب، كل ما كانوا يحلمون به وهم يتكلمون في هذا الموضوع أن يخبرهم أحد متى أو أين تتحقق النبوات؟ وهل اقترب الموعد؟ وكان هذا أقصى ما كانوا يتمنونه، أمّا ما حدث فقد فاق كل توقعاتهم البشرية وكل انتظارهم يقول الكتاب: "**وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ. وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ». وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّه وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»**" (لو ٢: ٨-١٤).

الرعاة كانوا مرشَدين من الروح القدس ومن الأدلة على ذلك؛ إنهم استجابوا لإعلان الملاك عندما قال "لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" أي أن الذي تنتظرونه قد حدث فاذهبوا وانظروا بأنفسكم "وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطًا مضجعًا في مذود" (انظر لو٢: ١٢).

فهل من الممكن أن يوضع طفل في مذود للغنم؟!! إن المذود هو المكان الذي يوضع فيه أكل الأغنام. فلماذا يوضع الطفل في المذود؟!! لقد وُضع في المذود لأن العذراء مريم لم تجد مكانًا في البيت.

فعندما ذهبتْ مع يوسف إلى بيت لحم لكى تُكتتَب يقول الكتاب:

"وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ" (لو٢: ٦-٧).

وُضع الرب يسوع، كلمة اللَّه المتجسد وهو طفل في المذود.. في الموضع الذي تأكل منه الحيوانات في الحظيرة. ليؤكّد أنه جاء طعامًا لحياة العالم الذي كان غارقًا في ظلمات الجهل والخطية.

هناك في المذود... في بيت لحم تلتقي النفس بالحقيقة الخالدة أن "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو١: ١٤)

تحقيق الأماني

"هذه لكم العلامة" ليس تحديد الزمان والمكان بل يحدد لهم العلامة الشخصية، ويصل بهم الحال أن ينظروا شخصه المجيد وفي نفس الليلة، فتصل بهم الذروة في تحقيق الأماني، إن اللَّه يعمل ولا يتركنا في حيرة، نقرأ في سفر الرؤيا قول يوحنا الرائي: "**بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ**" (رؤ٤: ١)... أي تنفتح السماء وتستعلن الأسرار الإلهية.

امتلأت قلوب الرعاة بفرح لا يُعبَّر عنه

عندما نظروا فرحة السماء وهي تريد أن تؤكد

بداية المصالحة بعد الخصومة.

بدايةً ظهر الملاك ثم ظهر جمهور من الجند السماوي... عندما ظهر الملاك أولاً جعل الرعاة فرحين، وظهور الجند السماوي علامة على فرح السماء والأرض، لقد انحنت السماء إلى الأرض لتقبلها كما يقول سفر نشيد الأناشيد "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ" (نش١: ٢).

في لحظات ميلاد السيد المسيح أُعلن هذا العناق الأبدي بين السماء والأرض... عناق المحبة، مع قبلات السيد المسيح... فرحتْ الأرض وأعلنتْ السماوات فرحتها ومشاركتها ولم يكن هذا مجرد تفَضُل من الله على البؤساء خالي من المحبة؛ فهذا هو عمل المحبة في الثالوث، المحبة التي تفرح بأن تعطي أكثر مما تفرح بأن تأخذ.. لا يوجد وجه للمقارنة بين فرح قلب الله وبين فرح البشر مهما كانت فرحتنا بالخلاص، ولم يكن من الممكن أن تلغي السماء فرحتها في ذلك اليوم ولا تعلن عنها، ولكن هذا الفرح لم يكن مظهرًا من مظاهر الاستعراض للقوة والعظمة؛ لكن إعلان سر الله للذين ينتظرونه وقد اختارت السماء مندوبين عن البشرية لكي يكونوا شهودًا للأجيال القادمة.

سبَّحتْ الملائكة تسبيحتها الأصلية لأنها هي هي لا يمكن أن تتغير إلى أبد الدهور فهم يسبحون الثالوث الأقدس "قدوس – قدوس – قدوس" (قدوس الله الآب، قدوس الله الابن، قدوس الله الروح القدس) لكن هذه المرة في –ليلة الميلاد– يسبحونه بأسلوب جديد أو بمعنى جديد **"الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ"** (لو ٢: ١٤)...

👍 "المجد لله **الآب** في الأعالي الذي أرسل ابنه وهو ساكن في الأعالي فالآب لم يتجسد.

✌ وعلى الأرض السلام لأن "**الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا** وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو ١: ١٤).

👌 وبالناس المسرة أي مسرة في إرادة وقلوب الناس الصالحين لأن **الروح القدس** سوف يصنع عجبًا في حياة القديسين ويملأ قلوبهم بأسرار الملكوت ويملأ قلوبهم فرحًا وسرورًا بفعل خلاصه العجيب. لأنه سوف يأخذ مما للمسيح ويخبرهم باستحقاقات دم الصليب، سوف يعطي غفرانًا وسلامًا وسرورًا لكل نفس، فلنهتم في تسابيحنا بتسبيح الثالوث.

عندما سبَّحتْ الملائكة يوم ميلاد السيد المسيح قائلة: **"وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ"** (لو٢: ١٤) كانت تقصد السلام الذى بين الله والإنسان بالمصالحة، والسلام بين الإنسان ونفسه، والسلام بين الإنسان وأخيه الإنسان.

ليس عمل الملائكة أن يكونوا أساتذة في علم اللاهوت؛ لكن الحقيقة أنهم يخبرون عن اللاهوت بالحب فهو طبيعة حياتهم مع الثالوث الأقدس بمعنى أن معرفة اللاهوت عندهم حياة يعيشونها تمتزج بتسبيحهم ورؤيتهم.

الملائكة تسبح الله من أجل صفاته الجميلة ومن أجل مجده ونوره وإعلاناته وحكمته. ونحن نسبحه من أجل محبته العظيمة وخلاصه العجيب وأعماله التي لا يُعبر عنها.

الملائكة في السماء تُسبح ملك الملوك ورب الأرباب، الساكن في نور لا يدنى منه.. وهذا هو موضوع فرحهم وتهليلهم... الشاروبيم والسارافيم وكل الطغمات السماوية وكل الجمع الغير محصي.. يسبحون اللَّه على الدوام، قائلين قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس.

الخليقة كلها تسبح اللَّه وتشكره، وإن كان اللَّه غير محتاج لهذا، لكنه يفرح من أجل منفعة الذين يصلّون والذين يشكرون؛ لأن هذا يدخلهم في شركة روحية مع الثالوث الأقدس وهذه الشركة تجعلهم يكتشفون أعماق صفات اللَّه، ويكتشفون أمورًا تسبب لهم سعادة وفرح وتعزية.

لماذا كان تسبيحهم هذا بالتحديد؟ كان من الممكن أن يقولوا الآن قد حل على الأرض السلام... وسوف تفرح الشعوب والقطعان... ويأتي خلاص اللَّه في كل مكان... ولكن إبراز العمل الثالوثي في خلاص البشرية بصورة واضحة حتّم هذه التسبحة لا غيرها.... **"الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ"** (لو٢: ١٤)... كانت الخلفية العجيبة وراء تسبحة الملائكة الذين لم ينطقوا بها بالصدفة بل كانت هي إعلان اللَّه في

عقولهم وعبَّروا عنها بكلمات تسبيح، هل ضبطوا اللحن قبل حضورهم؟!... هل كتبوه؟!... مَنْ الذي أملاهم اللحن؟!... لماذا قيل في وقت واحد؟!!.... هل كانوا متفقين أو تدربوا عليه؛ أم وجدوا أنفسهم يقولونه بفم واحد؟!! حسب أقوال أباءنا القديسين، إن البشر أحيانًا يحتاجون جهد لكي يتفقوا مع بعض لكن الملائكة باتفاق وانسجام عجيب يسبحون اللَّه، يبدو أنهم عندما يفتحون أفواههم تخرج نغمة موحدة، ترنيمة واحدة .... لا نعرف كيف يحدث هذا!

الذين يعيشون بالطقس الملائكي مثل الرهبان والراهبات عندما يُصلّون بالاتفاق مع ملء حياة الروح سوف يكونون أيضًا بفكر واحد ولسان واحد وترنيمة واحدة، لغة الروح، وتسبيح الروح يختلف عن التسبيح العادي واللغة العادية.

عندما نعيش مع تسبيح الرعاة والملائكة نستطيع أن نفرح كما فرح هؤلاء فرح عظيم بعد الحالة الكئيبة التي عاشت فيها البشرية ونحن لنا فرصة أكبر أن نعي قيمة الخلاص الذي صنعه السيد المسيح وأبعاد هذا الخلاص وإذا تذكرنا مقدار شقاوتنا تكون فرحتنا أعظم. المشاعر والإعلانات التي عاشها الرعاة من الممكن أن نحياها نحن أيضًا بالروح في أثناء تأمُّلاتنا في عيد الميلاد، هذه المشاعر التي عَبَرت بهم من مشاعر الضياع إلى مشاعر القرب من اللَّه ورؤيتهم للطفل المولود أعلنت لهم أن اللَّه وعد وقد صنع، وسوف يصنع.

كان الرعاة يمثلون بداية تعامل اللَّه مع عامة البشر فإن كانت البداية بهذه الصورة كم بالأكثر تكون النهاية.

كل الذين أُعلنت لهم الإعلانات السماوية كانوا يترقبون؛ ولذلك أُعلنت لهم، فحَنَّة بِنْتُ فَنُوئِيلَ وقفت تتكلم عنه في الهيكل بعد ميلاده بأربعين يومًا مع جميع المنتظرين الفداء في أورشليم (لو ٢: ٣٨).

الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا... الله الكلمة قد صار خلاصًا بتجسده مثلما تغنى إشعياء النبي **"هُوَذَا اللَّه خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ لأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصاً"** (إش١٢: ٢).

فعندما نتأمل أعمال اللَّه عبر التاريخ نشعر بالأمان؛ لأن اللَّه نفسه دخل إلى التاريخ حينما تجسد من القديسة العذراء مريم فصار اللَّه معنا. إنها دعوة صريحة للبشر للانطلاق نحو السماء.

فلابد لنا أن نفرح بميلاد المخلِّص ولا ندع ما يحيط بنا مِن هموم ومشاكل تُنسينا فرحة الميلاد فنكون مثل هيرودس والأشرار الذين حوله واليهود الذين انزعجوا من مجيء المخلِّص فلا يليق أن نعيش في مشاعر الضياع أو اليأس أو البلبلة في وسط أحداث

هي بكل تأكيد تدعو إلى الفرح، وأن نسبح الله ونمجده ونشكره على وعده الصادق الأمين.

فالذي يُصدِّق كلام اللَّه ويَثق في وعده لن يتزعزع إلى الأبد.

وَعَلَمُهُ فَوْقِي
مَحَبَّةٌ
(نش ٢ : ٤)
IC XC
ΥC ΘC
لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ
اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ
ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ
لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ
يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ
لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ
(يو ٣ : ١٦)

حَلَّ بَيْنَنَا

عندما نتأمل أعمال اللَّه عبر التاريخ
نشعر بالأمان؛ لأن اللَّه نفسه دخل
إلى التاريخ حينما تجسد مِن
القديسة العذراء مريم. حَلَّ بَيْنَنَا
فصار الله معنا. إنها دعوة صريحة
للبشر للانطلاق نحو السماءِ.
فلابد لنا أن نفرح بميلاد المخلِّص
ولا ندع ما يُحيط بنا مِن هموم
ومشاكل تُنسينا فرحة الميلاد
فالذي يُصدِّق كلام اللَّه ويَثق في
وعده لن يتزعزع إلى الأبد.